# " الإختصاصي النفسي والهوية...!"

www.arabpsynet.com/documents/DocSamarraiPsy&Identity.pdf

د. صادق السامرائي
الطب النفسي / أمريكا - العراق
alrahwan@yahoo.com

لا بد لنا أن نعرف معالم هويتنا الإختصاصية.فهل نحن نعبّر عن هويتنا العربية في إختصاصنا النفسي؟

إن ما نقوم به ونمارسه هو تطبيق لنظريات الآخرين في مجتمعنا ، فنحن لا نمتلك نظريات عربية في علوم النفس والإجتماع ،

ويبقى السؤال حائرا عندنا ، وهو ما هي نظريتنا وخطتنا العلاجية لمرضانا وفقا لخصوصياتنا الثقافية والحضارية وآليات تفكيرنا وتصوراتنا؟

كنت في ندوة للحوار عن هويتنا ودورنا مع عدد من المفكرين العرب , ولم أكن قد أعددت ورقة للنقاش , وبعد أن قرأ المشاركون أوراقهم وطرحوا آراءهم واستناجاتهم بدأ الحوار , وكان لا بد لي أن أتحدث , فكنت الطبيب النفسي الوحيد في الندوة.

وقد تواردت بعض الأفكار وأنا أستمع للمتحدثين البارزين في ميادين الثقافة والفكر العربي , وقد لخصتها بكثافة وتركيز وشاركت بها في الندوة.

وأثناء الندوة الحوارية العميقة تساءلت عن دور الإختصاصي النفسي في تحديد معالم الهوية العربية؟ وهذا السؤال قادني إلى سؤال , ما هي هوية الإختصاصي النفسي في مجتمعنا؟

وقبل تناول العوامل التي تحدد الهوية العربية من وجهة نظر الطبيب النفسي , لا بد لنا أن نعرف معالم هويتنا الإختصاصية: **فهل نحن نعبّر عن هويتنا العربية في إختصاصنا النفسي؟**

إن ما نقوم به ونمارسه هو تطبيق لنظريات الآخرين في مجتمعنا , فنحن لا نمتلك نظريات عربية في علوم النفس والإجتماع , وقد أمضينا القرن العشرين في نمطية سلوك التقليد وتطبيق نظريات مجتمعات أخرى على مجتمعنا, حتى أننا لم نأخذ بنظر الإعتبار الإختلافات الثقافية ودورها في التفاعلات العلاجية. فنقرأ كتبا ومقالات تسعى إلى تفسير ظواهر مجتمعنا وفقا لمقاييس مجتمعات أخرى. وفي مجتمعات تلك النظريات يتم التأكيد على ثقافة المريض وخلفياته المتنوعة لتحديد الخطة العلاجية اللازمة لحالته. ويبقى السؤال حائرا عندنا , وهو ما هي نظريتنا وخطتنا العلاجية لمرضانا وفقا لخصوصياتنا الثقافية والحضارية وآليات تفكيرنا وتصوراتنا؟ والجواب دائما في غيبٍ بعيد.

إن أي إختصاص لا بد له أن يكتسب هوية المجتمع الذي هو فيه , فالمختص النفسي الصيني لديه هويته الصينية وكذلك الياباني والإيطالي والألماني وغيرهم , أما العربي فأنه ربما يكون مجهول الهوية أو أن هويته غير واضحة المعالم , وهذا يعكس تحديات الهوية العربية بصورة عامة وضعف دورها الحضاري والإنساني.

فالحالة العامة للمجتمع العربي تنعكس في حقل الإختصاص المهني.

ترى ما هي تحديات الهوية العربية ودورها؟

سأقدم بعضها باختصار لأن كل عنصر يحتاج إلى تفصيل مطول:

**أولا: اللغة العربية**

اللغة جوهر الهوية وبدون لغة معاصرة وفاعلة في العقل والروح والضمير لايمكن الكلام عن الهوية لأي أمة ومجتمع, لأن اللغة هي الوعاء الجامع والمعبّر عن وجود الإنسان ومميزات دوره وتأثيره.

**ثانيا: الأمية القرآنية**

القرآن الكريم تنزل بلسان عربي صريح وبليغ , ولكي نفهمه لا بد لنا من معرفة لغته , وإذا ضعفت اللغة فأن الثقافة القرآنية ستضعف , وهذا سيؤدي إلى إضطراب ملامح الهوية ويدفع للسعي إلى البحث عن هويات أخرى , لأن أمية اللغة ستؤدي إلى الأمية القرآنية.

**ثالثا: آليات التفكير**

الشعور بالسلبية والتبعية والتقليد يحطم طاقات إمتلاك الهوية , فإذا لم يكن التفكير إيجابي والإقتراب متفائل ومنطلق نحو آفاق مستقبل يقرره الإنسان فأن الهوية ستتمزق وتتكمش معانيها وتفقد قيمتها.

**رابعا: قيد التداعيات**

التداعيات المتواكبة والإنهيارات المتعاقبة تزعزع الهوية وتتسبب في مواقف إنفعالية عدوانية رافضة لها ومقللة لقيمتها وتأثيرها في الحياة.

إن أي إختصاص لا بد له أن يكتسب هوية المجتمع الذي هو فيه ،

اللغة جوهر الهوية وبدون لغة معاصرة وفاعلة في العقل والروح والضمير لا يمكن الكلام عن الهوية لأي أمة ومجتمع

القرآن الكريم تنزل بلسان عربي صريح وبليغ ، ولكي نفهمه لا بد لنا من معرفة لغته ، وإذا ضعفت اللغة فأن الثقافة القرآنية ستضعف

الشعور بالسلبية والتبعية والتقليد يحطم طاقات إمتلاك الهوية

التداعيات المتواكبة والانهيارات المتعاقبة تزعزع الهوية وتتسبب في مواقف انفعالية عدوانية

رافضة لها ومقللة لقيمتها وتأثيرها في الحياة

**خامسا: أنظمة الحكم**

أنظمة الحكم الفردية والفئوية جردت الهوية من الكثير من مواصفتها ومعانيها ودورها في صناعة الحاضر والمستقبل , فبدلا من أن تأخذ الهوية طابعها الوطني والعروبي , صارت ترتبط بالكرسي والحزب والفرد المتسلط على مقدرات المجتمع.

أنظمة الحكم الفردية والفئوية جردت الهوية من الكثير من مواصفتها ومعانيها ودورها في صناعة الحاضر والمستقبل

**سادسا: حرية التفكير**

تفكيرنا مقيّد ومحكوم بنمطيات بالية معززة بدوامة سلوكيات متنوعة , تهيمن عليها آليات الدفاع الأولية الغير ناضجة , مما يدفع بنا إلى إنحرافات سلوكية وتعبيرات معادية للهوية والحط من معانيها وفعاليتها الحضارية.

**سابعا: التقبّل والإحتمال**

تفكيرنا مقيّد ومحكوم بنمطيات بالية معززة بدوامة سلوكيات متنوعة ، تهيمن عليها آليات الدفاع الأولية الغير ناضجة

ذكر أحد الأساتذة الدبلوماسيين الذي أمضى أربعة عقود في العمل الدبلوماسي معاناته في قبول الآخر , وقد تمكن من التغلب على هذه المشكلة بعد أعوام عديدة من التفاعل مع الآخرين , وهذه العقدة الفاعلة فينا ذات منشأ تربوي منحرف , يدفع بنا إلى عدم قبول وتحمل الآخر الذي لا يشابهنا أو يتطابق معنا في كل شيئ.
وهو سلوك يضفي على الهوية ملامح سلبية تؤدي إلى رفضها وتصغيرها مما يدفع بنا إلى زعزعة الإرتباط بها أو إدعائها.

**ثامنا: الماضوية**

عدم قبول وتحمل الآخر سلوك يضفي على الهوية ملامح سلبية تؤدي إلى رفضها وتصغيرها مما يدفع بنا إلى زعزعة الارتباط بها أو إدعائها

لكي نمتلك هوية حية وحيوية لا بد لنا أن نكون في عصرنا , أما أن نستحضر الماضي ونمنحه السيادة على وجودنا فأننا ننقض على هويتنا ونبعدها عن قوتها وقيمتها , وقدرتها في التحرك الفعال في ميادين الحياة التي تعززها وترفع من شأنها.

**تاسعا: "إقرأ" الغائبة**

لكي نمتلك هوية

أول نداء سماوي دوى في آفاق الأرض العربية هو نداء "إقرأ" بمعانية الشاملة الجامعة لمفاهيم القراءة والوعي والإدراك البشري, فالقراءة من روافد تغذية الهوية بالقوة والبقاء والتواصل مع زمانها والتأثير الجاري في مكانها. وعندما لا نقرأ سنجهل هويتنا أو نتجاهلها في عصر الإنفجار المعلوماتي والإتصالي المتنامي.

**عاشرا: الإبتكارية**

المجتمعات المتقدمة ذات هوية قوية وراسخة والمجتمعات المتأخرة ذات هوية ضعيفة متداعية , وبغياب الروح الإبتكارية فأن هوية المجتمع تضعف وتكون سبة لا فخرا , ولهذا ترى العربي في المجتمعات المتقدمة يتحاشى الإشارة إلى هويته وبعضهم يميل إلى التخلص منها.

**حادي عشر: السلبية**

السلبية آفة قاتلة وماحقة لطاقات التقدم والرقاء , وهي كالأرضة التي تنخر وجودنا وتنهك مسيرتنا الحضارية المعاصرة , وبسببها تحققت الأزمات والتفاعلات الضارة بسلامة حياتنا , وقد طغت على ملامحنا وأسهمت في تشويه معالم هويتنا.

**ثاني عشر: تصنيع الأفكار**

عجزنا الواضح على تحويل الأفكار إلى منجزات نافعة في الحياة , قد دفع بنا إلى الشعور المتواصل بالإحباط وإلتزام موقف الضعف والعجز والخسران , وعدم توفر روح المنافسة والتحدي والإقدام , مما أصاب معاني الهوية بمقتل.

**ثالث عشر: ضعف الوعي الإقتصادي**

التفكير العربي غير إقتصادي , وإنما هو عبثي وغيبي , نجم عنه فقدان قدرات الإستثمار المربح والمنتج للثروات الطبيعية والبشرية , وتسبب في الدخول في مأزق الإضطراب المتواصل في علاقة العقول بالمجتمع , وعدم تمكنها من المساهمة في بناء حاضره , مما أوجع الهوية ودفعها إلى التغرب والتشرد.

**رابع عشر: المواطنة الأسيرة**

المواطة العربية تتفاوت درجاتها وتأثيرها في السلوك الإجتماعي , وهي بين الغائبة والحاضرة بخجل , وهوية المواطنة في معظم الدول العربية ليست ذات قيمة دستورية وقانونية تعلي شأنها وتجعلها وعاءً جامعا للتنوعات القائمة في المجتمع. وبغياب دور المواطنة الواضحة ضعفت معاني الهوية بصورة عامة.

حية وحيوية لا بد لنا أن نكون في عصرنا ، أما أن نستحضر الماضي ونمنحه السيادة على وجودنا فأننا ننقض على هويتنا ونبعدها عن قوتها وقيمتها

أول نداء سماوي دوى في آفاق الأرض العربية هو نداء "إقرأ" بمعانية الشاملة الجامعة لمفاهيم القراءة والوعي والإدراك البشري

السلبية آفة قاتلة وماحقة لطاقات التقدم والرقاء ، وهي كالأرضة التي تنخر وجودنا وتنهك مسيرتنا الحضارية المعاصرة

عجزنا الواضح على تحويل الأفكار إلى منجزات نافعة في الحياة ، قد دفع بنا إلى الشعور المتواصل بالإحباط وإلتزام

موقف الضعف والعجز والخسران

وهوية المواطنة في معظم الدول العربية ليست ذات قيمة دستورية وقانونية تعلي شأنها وتجعلها وعاءً جامعا للتنوعات القائمة في المجتمع

من واجبنا أن نساهم في تحديد ملامح هويتنا والتأكيد على الأنا المعاصرة الناهضة التي تريد الحياة الحرة الكريمة العادلة

**خامس عشر: الإنكسارية**

الثقة مكسورة بتقديم ما يميزنا , وهذا الشعور الإحباطي السائد يمنعنا من الجد والإجتهاد وتحقيق الأصيل الذي يشير إلينا. وبسببه ضعف إهتماننا بالمعرفة وتنمية العقول العارفة المبدعة مما أصاب الهوية بخمول الحركة والفعل والدور.

**سادس عشر: النفط**

هذا المارد الذي أثر كثيرا في سلوكنا وحطم هويتنا وجردها من جميع معانيها ,وحولها إلى سائل أسود يتدفق من تحت أقدامنا ويجلب علينا الويلات والأهوال , حتى صارت هويتنا نفطية بحتة وسلوكنا نفطي خالص , مما أفرغ الهوية الحقيقية من جوهر معانيها ومراميها الإنسانية.

وهناك العديد من العوامل الأخرى التي علينا أن نتفحصها , لكي نعيد لهويتنا الحضارية قيمتها ودورها الأصيل. وفي ميادين العلوم النفسية والإجتماعية , يبدو من الضروري العمل على رسم ملامح هويتنا الإختصاصية , فنحن في زمن النهضة العربية الوثابة المتطلعة لدورها الحضاري , في عالم يتمازج ويتداخل إلى حد الذوبان في وعاء شاشة صغيرة تمكنت منا جميعا. ولهذا فمن واجبنا أن نساهم في تحديد ملامح هويتنا والتأكيد على الأنا المعاصرة الناهضة التي تريد الحياة الحرة الكريمة العادلة.

د-صادق السامرائي
2012\3\11

مراسلات الشبكة" على الفايس بوك
http://www.facebook.com/Arabpsynet

***** *****


ابحث في قاعدة بيانات الشبكة
ARABPSYNET PAPERS SEARCH
(BY ARABIC, ENGLISH & FRENCH WORDS)
www.arabpsynet.com/paper/default.asp
أضف بحثك الى قاعدة البيانات
PAPERS FORM
http://localhost/paper/PapForm.htm

Arabpsynet
Subscribe To APN
http://www.arabpsynet.com/Subs.asp
Arabic Edition
http://www.arabpsynet.com/defaultAr.ASP